تجمعات أدبية

ملتقى الجماهير.. المقهى الذي وحّد الوطن

توفيق التميمي

من ملامح الثقافة العراقية الجديدة التي مثلت خريطة العراق الجديد بعد الانعتاق من حصار الدكتاتورية الحديدي، ذلك الحراك الثقافي المحموم لبعض التجمعات من المبدعين والمثقفين العراقيين بتجاه تأسيس مجتمع مدني ثقافي له من الرغبة الصادقة الحقيقية في المساهمة الفعّالة لبناء الحياة العراقية الجديدة والمشاركة الإيجابية في الحياة السياسية وصياغة أطرها بصيغ ورؤى الثقافة، الثقافة التي ركنها النظام على رفوف المقاهي الرثة وصالونات المجالس السرية والمحصورة بين أقواس من التوريات والمبنى اللفظي المراوغ.

من هنا كانت المقهى هي المسرح الأقرب لاضواء هذا الزخم الثقافي الفعّال.. والفضاء الأكثر مشروعية للتوافق مع هذه النيات الصادقة للمثقف العراقي المتنوع برؤاه وتجاهاته واختلافاته.

فنشأ في فضاء مقهى (الجماهير) ملتقى الجماهير الإبداعي كنموذج جديد من الجماعات الثقافية التي تسعى لتحطيم نموذج وثقافة المؤسسات في اطار رسمي. انطلق الملتقى بتصميم وعزم وإخلاص مجموعة من المثقفين العراقيين في شتى مجالات الثقافة الأدبية، الإعلامية، الفكرية، الأكاديمية، السياسية وغيرها يقيمون جلسات ثقافية اسبوعية في عصر كل يوم ثلاثاء.. يحرصون على نجاح تجربتهم.. وملامحها المدنية.. يراهنون على نجاحها رغم التحديات الكثيرة والعديدة.. منها تحدي الظروف الأمنية القاهرة. وتحديات مالية تتعلق بالامكانات المحدودة لأعضاء الملتقى وأخرى تحديات المكان الذي لا يصلح لإقامة جلسات حوارية في شتى مناحي الثقافة والفكر بين ضجيج رواد المقهى وطقطقة قطع الدومينو.

ووسط هذه التحديات كلها كان لهذه المجموعة من المبدعين والمثقفين فضل المبادرة في تأسيس أول مجتمع ثقافي مدني مصغر يحمل في أحلامه مشروعاً ثقافياً وطنياً من نسيج ألوان الثقافة العراقية المتعدد في تكويناته الأثنية والعرقية والأيدلوجية.. دونما تمييز أو شروط إلا شرط الإبداع وشرط النية المخلصة في اعادة بناء الثقافة العراقية وتعزيز المشهد الثقافي العراقي.

تشكلت تحت فضاء مقهى الجماهير التجربة الأولى لمجتمع ثقافي بعيداً عن منطق المحاصصات والهويات الفرعية والولاءات الضيقة لها سواء في شروط الانتساب إلى هذا الملتقى الإبداعي أو في نوعية واختيار البرامج الثقافية والمحاور الأسبوعية التي شملت وغطت كل ألوان الثقافة ورموزها عبر مسيرتها الطويلة من التهميش والتغييب والإقصاء، ولذا حقق المقهى ما عجز عنه النشاط السياسي في البلد.

ومن المؤسف ان الملتقى لم يواصل نشاطه الذي بدأه.. ولم يسع لتحقيق برامجه وأحلامه التي وثقتها الورقة التأسيسية الأولى، وتباعدت محاضراته.. وبدأ هناك انسحاب لأكثر من واحد من مؤسسيه الأوائل وكل ذلك من علامات الخيبة التي يمكن ان تؤدي إلى فشل الرهانات الأولى.. في ان يكون هذا الملتقى النموذج المصغر من خريطة المجتمع المدني العراقي الجديد.. وقنطرة يعبرها المبدع والمثقف للوصول إلى البرلمان كي يسمع صوته وتبلغ مطالبه ويبشر برؤاه وتصوراته لبناء الوطن أسوة ببقية الشرائح والمكونات.

واذا كانت المجموعة الأولى التي بذلت الجهود المخلصة لان يرى هذا التجمع النور ويواصل خطواته وسط مجموعة من التحديات والعراقيل والظروف القاهرة فحري بهذه الجماعة الثقافية وهي تتجاوز محنة التأسيس. والتأصيل لملامح وبرنامج الملتقى الإبداعي والثقافي.

واعتقد جازماً برغم الفضل والمبادرة لمن يؤسس مثل هذه المجاميع فانها تصبح فيما بعد ملمحاً من ملامح الثقافة وتقليداً من تقاليدها وتصبح مسؤولية المواصلة الاستمرار تقع على عاتق المثقفين العراقيين أنفسهم.

وبعد ان حقق الملتقى نجاحه البارز والملحوظ والذي تثبته المنشورات والإصدارات التي تضمنت هذا الإنجاز منذ منتصف عام ٢٠٠٣ وحتى الآن.. فأننا ندعو الاخوة في الهيئة التأسيسية للملتقى الجماهير الى تجاوز محنة الانقسام والاختلاف.. والانطلاق من جديد لتحقيق أحلام وبرامج الملتقى التي وعد بها المثقف العراقي.. في بيانه التأسيسي الأول.

فما زالت الفرصة قائمة لتقدم هذه التجمعات الثقافية فرصة في بناء اللحمة الوطنية العراقية.

(المدى) في شارع المتنبي

د.حميد حمد السعدون:

بعض تاريخنا المنسي

في شارع المتنبي الذي يعج بحركة الادباء والمثقفين صباح الجمعة وعند مدخل مكتبة الشطري، التقت (المدى) الثقافي الأستاذ الدكتور حميد حمد السعدون رئيس قسم الدراسات الأوروبية في مركز الدراسات الدولية في جامعة بغداد الذي أصدر منذ وقت قريب كتابه (امارة المنتفق وأثرها في تاريخ العراق) بعد سبعة كتب صدرت له منذ السبعينيات.

سألناه خلال حوار نعيم الشطري مع احدى الفضائيات عن واقع الكتاب عن آخر مشاريعه فأجاب انه استكمل تدوين مسودات كتابه الجديد (بعض التاريخ المنسي) الذي يعالج فيه احداثاً سياسية عراقية مهمة وقعت في ستينيات القرن العشرين منها أزمة العراق مع الكويت في عهد الزعيم عبد الكريم قاسم وحملة التصفية التي تعرض لها الحزب الشيوعي العراقي وكيفية اختيار عبد السلام محمد عارف رئيساً للجمهورية في انقلاب شباط وغير ذلك من الموضوعات الحيوية التي يلقي الكتاب الضوء عليها من جديد مجتهداً في سد ثغرات الاحداث المتداولة عن هذه الوقائع بصورة دقيقة. من مشاريع د.حميد السعدون الجديدة مجموعة حكايات من التاريخ الشفاهي العراقي يقوم بتحقيقها تاريخياً على ضوء الوقائع وهو عمل يستغرق منه جهداً كبيراً لأنه يشكل بابا جديداً في رواية التاريخ بلغتين شعبية ورسمية معاً ومحاكمة الاحداث على ضوء التحليل العلمي للوقائع.

من كتب. د.السعدون العولمة وقضايانا . الغرب والإسلام والصراع الحضاري.. التنمية السياسية والتحديات.

خارج المدى

اتحاد الأدباء العرب وصناعة الأزمة

علي حسن الفواز

يبدو ان اتحاد الادباء العرب يؤكد مرة أخرى بأنه منظمة سياسية وحكومية، وانه يضع اولويات الاسئلة السياسية والمواقف الحكومية امام اي استحقاق مهني وابداعي، لا شأن له باسباب المحنة وما تصنعه بأحوال المثقفين ولا دافع لديه لقراءة حسابات، كم ستأخذ هذه السياسة من حقوق هذا أو ذاك !!؟

جلّ ما تريده هذه المؤسسة الحكومية، ان تؤكد حظوتها داخل الجمع (الثقافي) العربي المتورط بشروط الأنظمة الحاكمة!

ولعل ما تناهى الى اسماعنا ان هذا الاتحاد العتيد قد اصدر قرارا حول الوضع الثقافي في العراق واستمرار فرض الحصار الثقافي العروبي على الثقافة في الداخل العراقي، وكأن هذا الاتحاد وقيادته الحكيمة والقومية جدا !!الاشأن له بمآسي العراقيين وخراب حياتهم وأسئلتهم الراهنة! وان الاتحاد العتيد ينتظر فرج خروج قوات الاحتلال كمن يجلس في مقهى، او ربما يمارس لعبة السيد (كودو) في الانتظار، لذا ستحبس القصائد والقصص والهتافات والحوارات ومدارات النقد في (صندقجة) السيد (القيم) لحين حضور هذا الفرج المبارك !! وكأن الشعراء والفنانين والقصاصين والحالمين والهاربين من الخدمة العسكرية هم من جاء بقوات الاحتلال، وان الذين هربوا وتحصنوا بالحصن المنيع في الخارج هم وحدهم الصالحون للعروبة.

في بعض ثنايا القرار، ان الادباء تقلصوا أو انفرطوا من اعدادهم الالفية الى اعداد محدودة،!! او ليس ذلك دليل عافية وصحة!؟، بأن من فقد مرجعيته غير الابداعية قد ولى ادباره، الى سوح خالصة له يمارس بها شأنه القديم البعيد عن الاستعراض الثقافي !!

كما ان الحديث عن الحراك الثقافي مهنيا وابداعيا وحساباته في ظل هذه المتغيرات!!، يتحمل اكثر من حديث، اذ ان قياسات هذا الفعل تحتاج الى تعريفات على مستوى من الاحتراف المهني والدافعية الاخلاقية، فضلا عن خصوصية من يمنح شهادة حسن السلوك للمثقف العراقي !!وأهليته لذلك بعيدا عن المزايدات والسفسطات والشتائم الجاهزة والخالية من الابداع طبعا والقريبة من الشعارات.

ان الاحساس بالمرارة هو الاحساس الغالب، وان الاحساس بالمظلومية هو الاكثر غلبة، اذ يخرج ابناء الجلد واتراب الوعي، والاكثر ادراكا لما تحت السطح من خفايا واسرار، شاهرين سيوفهم وحميتهم الغليظة ليمارسوا دورا في الجهالة وضعف المسؤولية... او ليس من مسؤولية الاتحاد العربي مهنيا في الاقل ان يقف مع معيته ممن سحقتهم (دبابات) الاحتلال، وممن ملأت شوارعهم اعمدة الكونكريت،؟ أليس من واجبه ان يحاورهم حول كيفية الخلاص من المحنة؟ أليس ثمة دعوة لطمأنتهم بأن عروبتهم بخير وان اصحاب العروبة سيدافعون عن الهوية والفكرة والمعنى والمشروع الثقافي العربي بكل الوسائل الحكومية والمدنية.!؟

اليس محبطاً ومحزناً ايضا، أن نحاور بعضنا البعض بهذه اللغة العقيمة والهتافات التي تؤكد حجم تخلفنا ورداءة وعينا، لاننا مرهونون بوعي نكوصي لم يتحرر بعد من عقدة الثار والعصبية القبلية والانحياز الى سايكولوجيا (واني من غزية ان غزت).

كما ان الادباء القيمين على الاتحاد القومي وممن اصدروا مئات الكتب (على نفقة الاتحاد طبعا) وجلها يتحدث عن قومية الوعي والسلوك والموقف وضرورة الحوار والانفتاح، ملزمون بالوقوف مليا امام كتبهم وخطاباتهم ومدى مصداقية ما نسجوه ايمانا وقناعة وتماهيا مع الآخر!!

ان انتماء المثقف العراقي والعربي الى نقابة مهنية لاتحرك شيئا ولا تذر قشة، ليس ذا اهمية تستدعي البكاء بين يديها او الحنين الى دفء دثرت به الجلد البارد، قدر ما هو موقف اخلاقي وانساني، والدليل على ذلك ان كل الذوات المؤثرة ثقافيا في مشهدنا الثقافي العربي بعيدة عن هذه المؤسسات البائدة ! وتعمل في مشروعاتها خارج الضجيج وهتافات من افقدته الحيلة دربه، لقناعاتها بان هذه المهنية المفترضة هي مهنية حكومية وان اسئلتها هي حكومية وان مصادر تمويلها حكومية.

لذا اجد من المخجل جدا ان يصر الاتحاد العربي على سياسة انفعالية مشبعة بسايكولوجيا الازمة، وان يواصل لعبة شدّ الخيول الى عربات قديمة، ويوغل في سياسة الفرقة وتمزيق الجسد العربي الذي وجدت فيه الخطط الامريكية مجالا للانشطار فجاءت بدباباتها، لان القيمين الادباء الساسة يواصلون اقتراف الاخطاء، وربما الخطايا تحت ضغط حاجتهم لتصريف ازمة الروح القبلية.

اعتقد جازما بأن هذا السلوك بعيد عن المسؤولية الحقيقية وغير مدرك لخطورة ما قد يصيبه ويكرسه من عوامل الفرقة والكراهية وقتل روح الالفة والحوار والاحساس بحقيقة البيت الواحد الذي ينبغي ان يمنح الابناء احساسا حقيقيا بالانتماء.

صدر حديثاً

في مجموعة (أمي والسراويل) فطرة الكلام وصنعة الشاعر

عباس حويجي

ترصد مجموعة " أمي والسراويل " لزيد الشهيد كنصوص شعرية تلك المهج التي ما زالت ممسكة بخيط من القيم والبراءة التي فككت مقاومتها عبر أجيال من العبث والحروب والقهر والحصار في زمن نادر بقسوته وعبثيته.. فبعد أن أسدلت ستائر الحروب القاتلة وخلّفت مقابرها الحيّة، والميتة، وتلك التي في طريقها إلى الموت.. هذه المقابر هي (سكراب) الحرب الحقيقي، وعن هذا السكراب البشري تدور القصائد الأولى للمجموعة.

تنشطر المجموعة إلى ضفتين تستقيان من النهر ذاته ؛ لكن لكل ضفة جغرافيتها ومتونها وهوامشها. تبدأ الضفة الأولى من المفتتح الفرعوني (تعويذة من كتاب الموتى) لتشمل نصوص (أمي والسراويل، أخي والبساطيل، أختي والكرنفالات، ابنتي والأراجيح، أبي والرعاع) . وكما يبدو من العناوين فإنها محاولة العزف على وتر العائلة التي شتتتها الحروب والموت والجوع والهجرة، فبقيت على الرمق الأخير ممسكة بأعمدتها بقوة الأمل واليأس معاً. والضفة الأخرى تشمل ما تبقى من المجموعة ؛ وهو الزمن الذي اخترم الشاعر وألقى به مرمياً على قارعة الغربة.

في الضفة الأولى يبوح الشاعر كانسان مهمّش كالآخرين الذين يبوح لهم وعنهم ؛ والغريب أن الشاعر ـــ وهو مولع باللعب باللغة وصياغاتها التركيبية، وجملها المتداخلة ـــ قد نظّف نصوصه من غبار البلاغة، وأسمال الشكل النمطي ؛ فلم تبق إلا اللغة النثرية العارية بإيماءاتها الوجدانية، واختلاجاتها الواقعية. ولكي يقفز باللحظة الشعرية إلى ذروتها فقد عمد إلى تقطيع النص إلى مشاهد صغيرة ليمدها بنسغ سردي حميم. لكن قوة هذه النصوص لا تنبع من بساطة لغتها أو فيضها الوجداني، وإنما من الموقف الإنساني للشخصيات (المسرودة شعرياً) والذي يتصل بعمق الجذور التاريخية والروحية لإنسان وادي الرافدين. فالأم (تحلم بوطن / جميع نسائه يلبسن السراويل) ص١٥ ؛ والأخ المجنون أو متصنّع الجنون يحتفظ ببندقيته (التي ما زالت.. معلقة بمشجب الانتظار / لمعارك صادقة تتطلّع / وأعداء حقيقيين) ص١٨ ؛ والابنة (باعت فساتين أحلامها.. من أجل حفنة كبرياء) ص٢١ فهل نستطيع القول أنه شعر فقير لا من ناحية القيمة وإنما من ناحية الطريقة والصيغة، وهما عاملان قصديان، مثل المسرح الفقير الذي نشأ في ستينيات القرن الماضي مضحياً بالديكور والإكسسوار والمنصة ؟

أما في الضفة الثانية، فالشاعر يبوح كمثقف يتعالى باللغة، يتعالى حتى على الشعر ذاته الذي هو ملاذه وعنوان مقاومته ؛ حيث تلعب البلاغة لعبتها في خلق دوامات ومتواليات من الجمل القصيرة، وفي تزويد النص بما لا يحتاجه من التراكيب البلاغية. إنّ دور البلاغة هنا واضح وجلي وهو الوصول بالنص إلى حافة الإبهار؛ لهذا لم يتداخل الغموض بالأنساق البلاغية، وكذلك انتحت المرموزات جانباً لتأخذ الجملة الإنشائية حقاً في الاستطراد والصعود إلى نهاية النص.ولكن يبقى بين الضفتين ما هو أكثر من ذلك، ربما سيقوم بحال نقدي بالضرب على هذا الوتر أو غيره من الأوتار التي تحفل بها المجموعة.

هل الفرق بين البوح (الفطري) وتقنيته (الصنعة) الشعرية ؟

ربما تحتمل المجموعة أيضاً مثل هذا التضاد الشكلي أو الأسلوبي، غير أن النظر إلى البوح الشعري كـ (فطرة) مسألة حرجة، فهذا البوح أيضاً مغموس بثقافة الشاعر، وحضارة العصر، وإيقاع الواقع حيث تبقى (الفطرة) نادرة حتى بالنسبة لبدوي، فكيف بشاعر مثقف مغترب ؟

والفطرة لا يمكن تصنيفها وافتعالها، لأنها سوف تفتضح حتما، إنها مثل الأسرار التي تحمل شفرتها معها. كما أن الثقافة ـــ كما هو معروف ـــ تزيح (الفطرة) جانباً ؛ وهذا ما لمسناه في أعمال الكاتب المغربي الراحل محمد شكري بين عمله الأول (الخبز الحافي) ـــ قبل أن تشغله الثقافة لغة ومعرفة ـــ وبين أعماله اللاحقة. لكن هذا البوح ربما هو صدى (الفطرة) المترسبة وراثيا في ذات الشاعر والذي هو صوت الوعي الجمعي والتاريخي لجنسه. ففي (الفطرة) يكون الشعر : " بضاعة قلب " (في المقدمة ص٩) ليس غير ؛ أما عندما يبني الشاعر منظومة نص ثقافية : " أنا أحث اللغة / وأعد النص برداء جديد /... أنا أربي الصفات " ص٤٣ فهي تهاويل الشاعر الذي اخترع من ثقافته (نصاً) لإعلاء الأنا المقموعة ؛ وفي الوقت نفسه لإعلاء الشعر عبر تمريره بأواني الثقافة المستطرقة. كما أن اختياره مقطعاً من تعاويذ (كتاب الموتى) الفرعوني مفتتحاً للمجموعة هو سعي لنفض الغبار عن فطرة الشعر، وتلمس تلك البراءة المفقودة للكلمة.

واندفاع كهذا نحو شعر يتعلق بـ (الفطرة) أو بشيء باقٍ منها، جرى التصعيد نحو تقاليد الشعر الشرقي (الشرق الأقصى) وشعر الأقوام البعيدة عن الحضارة (ولا أقول البدائية) الذين لم يفقدوا بعد تلقائية التعبير، وعفوية الكلام، بتلك المقاطع اللماحة من شعر (الهايكو) الياباني، وشعر الحكمة الصيني، وشعر الاسكيمو والهنود الحمر. فظهرت القصيدة (القصيرة جداً) التي تتعلّق بتأويل شعري لمشهد طبيعي، أو لاعج نفسي أو إيماءة روحية (لاحظ النصوص الأخيرة من صفحة ٥٤ إلى ٦١ وقبلها نص : في البيت تطبخين المكائد

). إنّ تصعيد الشعر نحو هذه التقاليد هو لأنها أشعار (لقصر نَفَسها) لا تحتمل الصنعة البلاغية والفخامة الإنشائية التي يحتفي بها الشاعر العربي ؛ لأنّ الكلمات هنا تشير ولا تصف ؛ توحي بالحدس وليس بالمعنى ؛ تفتح الزمان على المكان ولا تقيده... وأخيراً ـــ وهذا هو المهم ـــ تختزل قدرة الإنسان الأسطورية على المقاومة كضربة فرشاة واحدة سريعة وعميقة.

وهنا يخالجنا سؤال ملح : إذا كانت القيمة الفكرية للنص الذي خلع ثوب البلاغة وبيانها الفضفاض قد تفجرت بدلالات وإشارات واضحة تجعل المتلقي يتماهى بالنص وينفعل به، ويمسك بأنساقه الجمالية، فلماذا العودة في القسم الثاني من المجموعة إلى لبس الثوب نفسه والإمعان بتزويقه بأطر بلاغية ثقيلة ؟

إنّ الجواب على هذا السؤال ربما هو المفتاح الذي يفسّر لنا أياً من القسمين أقرب إلى وعي الكاتب ؛ بل إلى ذائقة القارىء ؛ وأخيراً إلى حقيقة النص ؟. ولماذا استعمال وجهي العملة (البلاغة وضدها) في مجموعة واحدة سيما ونصوص المجموعة يجمعها هم إنساني متقارب القيم ؟ أهناك هدف ما للكاتب زيد الشهيد ـــ والذي يبدو في نصوصه القصصية والنقدية مبهوراً باللغة ومخيالها وحالات انبلاجها في فيض إنشائي ونفس طويل مدرار ـــ هل هي سلطة الأسلوب على الكاتب أم سلطة الموضوع ؟

نعم إنّ الموضوع ـــ كما أرى ـــ مارس سلطته على وعي الكاتب ؛ ذلك أن موضوعات القسم الأول موضوعات إنسانية (عامة) تتصل بهموم وحياة الطبقة الشعبية التي وقع عليها ضغط الواقع وسحقتها سنابك السياسة وهي من دون مقاومة فعلية إلا مقاومتها الداخلية ؛ وعن هذه المقاومة الداخلية (الروحية) ينبجس المضمون، ويتشكل الأسلوب بلغة بسيطة بساطة الإنسان العراقي الأعزل.

أما القسم الثاني فالكاتب يتمرأى كمثقف مهموم بتطلعات إنسانية (ذاتية) تتصل بهم الفرد وليس الجماعة، بسيرة المثقف وليس العائلة، بوهم الحرية وليس العيش. وتوزعت أنساق الموضوع لتشمل مساحة كبيرة من الثيمات (السيرة الشخصية، الطفولة، الحب، الشعر، الصداقة، الغربة، الولاء الشعري) وهي موضوعات مبطنة متداخلة ؛ ليست ذات يقين ملموس. لهذا قامت أدوات البلاغة بمهمة أسلبتها (صبها بأسلوب) وحمل دلالاتها التعبيرية، وبناء قاعدة انطلاق واضحة لخطابها.

إن مجموعة " أمي والسراويل " تضيف للحقل الذي يحرث فيه الأديب زيد الشهيد مساحة أخرى للتعبير عن الهم الإنساني اليقظ للإنسان العراقي الذي امتص من خلال مطاولته التاريخية أعاصير اسطورية من الموت والدمار.

—

(❖) زيد الشهيد ؛ أمي والسراويل / دار ازمنة للنشر والتوزيع ـــ عمان 63 – صفحة